كل يوم بحمله ماله الذي يملكه وكلما تضاعف المال تضاعف الربح فقد راح عليه
في زمن المعصية ارتفاع وربح بحمله اعماله فاذا استانف العمل استانف صعودا
من نزول وكان قبل ذلك صاعدا من علو وبينهما نور عظيم قالوا ومثل ذلك رجلان
مرتقيان في سلمين لا نهاية لهما وهما سواء فنزل احدهما الى اسفل ولو درجة
ثم استانف الصعود فان الذي لم ينزل يعلو عليه ولا بد وحكم شيخ الاسلام
ابن تيمية بين الطائفتين حكما مقبولا فقال التحقيق ان من التائبين من يعود
الى ارفع درجة ومنهم من يعود الى مثل درجته ومنهم من لا يصل الى درجته
قلت وهذا بحسب قوة التوبة وكمالها وما احدثته المعصية للعبد من
الذل والخضوع والانابة والحذر والخوف من الله والبكاء من خشية الله فقد
تقوى هذه الامور حتى يعود التائب الى ارفع من درجته ويصير بعد التوبة
خيرا منه قبل الخطيئة فهذا قد تكون الخطيئة في حقه رحمة فانها نفت
عنه داء العجب وخلصته من ثقته بنفسه واعماله ووضعت خده ضراعة وذلا
وانكسارا على عتبة باب سيده ومولاه وعرفته قدره واشهدته فقره وضرورته
الى حفظ سيده له والى عفوه عنه ومغفرته له واخرجت من قلبه صولة الطاعة
وكسرت انفه ان يشمخ بها او يتكبر بها او يرى نفسه بها خيرا من غيره واوقفته
بين يدي ربه موقف الخطائين المذنبين ناكس الرأس بين يدي سيده مستحييا
منه خائفا وجلا محتقرا الطاعة مستعظما لمعصيته قد عرف نفسه بالنقص
والذم وربه متفردا بالكمال والحمد والوفا كما قيل استاثر الله بالوفاء والحمد وولى
الملامة الرجلا فاي نعمة وصلت من الله اليه استكثرها على نفسه ورأى نفسه
دونها لم يرها اهلا لها واي نقمة او بلية وصلت اليه رأى نفسه اهلا لها وما هو
اكبر منها ورأى مولاه قد احسن اليه اذ لم يعاقبه على قدر جرمه ولا شطره ولا ادنى
جزء منه فان ما يستحقه من العقوبة لا تحمله الجبال الراسيات فضلا عن هذا
العبد الضعيف العاجز فان الذنب وان صغر فان مقابلة العظيم الذي لا شيء
اعظم منه الكبير الذي لا شيء اكبر منه الكريم الذي لا احد اكرم منه ولا اجمل المنعم
بجميع اصناف النعم دقيقها وجليلها من اقبح الامور واقبحها واشنعها فان

مقابلة

مقابلة العظماء والاجلا وسادات الناس بمثل ذلك يستقبحه كل احد مؤمن
وكافر وارذل الناس واسقطهم مروءة من قابلهم بالرذائل فكيف بعظيم السموات
والارض وملك السموات والارض ولولا ان رحمة الله غلبت غضبه ومغفرته
سبقت عقوبته والا لتدكدكت الارض بمن قابله بما لا يليق مقابلته ولولا
حلمه ومغفرته لزالت السموات والارض بمعاصي العباد قال الله تعالى ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه
كان حليما غفورا فتامل ختم هذه الاية باسمين من اسمائه وهما الحليم والغفور
كيف تجد ذلك بحيث انه لولا حلمه عن الجناة ومغفرته للعصاة لما استقرت السموات
والارض وقد اخبر الله سبحانه عن بعض كفر عباده انه تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والمقصود ان العبد قد يكون بعد التوبة خيرا
مما كان قبل الخطيئة وارفع درجة وقد تضعف الخطيئة همته وتوهن عزمه
وتمرض قلبه فلا يقوى دواء التوبة على اعادته الى الصحة الاولى فلا يعود الى درجته
وقد يزول المرض بحيث تعود الصحة كما كانت وتعود الى مثل عمله فيعود الى درجته
هذا كله اذا كان نزوله الى معصية فاما ان كان الى امر يقدح في اصل الايمان
مثل الشكوك والريب والنفاق فذاك نزول لا يرجى لصاحبه صعود الا بتجديد
اسلامه من راسه فصل ومن عقوباتها انها تجري على العبد ما لم يكن
يجتري عليه من اصناف المخلوقات فتجتري عليه الشياطين بالاذى والاغواء والوسوسة
والتخويف والتحزين وانسائه ما مصلحته في ذكره ومضرته في نسيانه فتجتري
عليه الشياطين حتى تؤزه الى معصية الله ازا وتجتري بما تقدر عليه من اذاه في
غيبته وحضوره ويجتري عليه اهله وخدمه واولاده وجيرانه حتى ان
الحيوان البهيم وقال بعض السلف اني لاعصي الله فاعرف ذلك في خلق امراتي
ودابتي وكذلك يجتري عليه اولو الامر بالعقوبة التي ان عدلوا فيها اقاموا عليه
حدود الله وتجتري عليه نفسه فتتاسد عليه وتستصعب عليه فلو ارادها لخير
لم تطاوعه ولم تنقد اليه وتسوقه الى ما فيه هلاكه شاء ام ابى وذلك لان الطاعة
حصن الرب تبارك وتعالى الذي من دخله كان من الامنين فاذا فارق الحصن اجترا عليه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)